﴿سورة القدر﴾

وفيها خمس مسائل:

المسألة الأولى: لِمَ سميت هذه الليلة بليلة القدر ؟

والجواب: ليلة القدر لها أكثر من دلالة، ومنها :

- إن القدر هو الشأن العظيم والمكانة العالية ومنه: فلان ذو قدر أى ذو مكانة بين الناس، فهذه الليلة ذات قدر أى مكانة ترفعها على غيرها من الليالى، ولذا قال ربنا بياناً لمكانتها: ﴿**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)**﴾، فهى ليلة ذات قدر نزل فيها كتاب ذو قدر على نبى ذى قدر بواسطة مَلَك ذى قدر فهى ليلة القدر .

- إن القدر بمعنى القَدَر وجمعها الأقدار ومقادير ، فهذه الليلة تُكتَب فيها مقادير الخلائق من عامهم هذا إلى مثل هذه الليلة من العام القادم مصداقاً لقول ربنا ﷻ عنها فى سورة الدخان: ﴿**فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ(٤)**﴾[١] حتى روى عن سعيد بن جبير– رحمه الله – أنه قال: (يؤْذن للحُجَّاج في ليلة القدر فيُكتَبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يُغادر منهم أحد، ولا يزاد ولا ينقص منهم)[٢]، قال الفخر الرازى: (واعلم أن تقدير الله لا يحدث في تلك الليلة فإنه تعالى قدَّر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض في الأزل، بل المراد إظهار تلك الليلة المقادير للملائكة في تلك الليلة بأن يكتبها في اللوح المحفوظ) [٣] .

- وقيل القدر بمعنى التضييق، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ**﴾ [٤] ، وقد سُميت ليلة القدر بذلك لكثرة نزول الملائكة فيها حتى أن الأرض تضيق على أهلها مصداقاً لقول الله تعالى:

(١) الدخان / من الآية ٤ .
(٢) الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٨ .
(٣) مفاتيح الغيب ٣٢/ ٢٨ .
(٤) سورة الطلاق / من الآية ٧ .

﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ .

المسألة الثانية: كلنا يعرف أن القرآن قد نزل مفرقاً على مدار ثلاثوعشرين سنة،فكيف يستقيم هذا مع ما يُتوهم من أن القرآن قد نزل جملة واحدة فى هذه الليلة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ(١)﴾؟

والجواب: إننا حتى نفهم ذلك فلا بد من الحديث عن تنزلات القرآن الكريم التى ذكرها العلماء فى "علوم القرآن"، حيث ذهب أكثرهم إلىأن القرآن الكريم (قد نزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا وكان ذلك فى ليلة القدر وهو ما ذكرته سورتا القدر والدخان، ثم نزل بعد ذلك من بيت العزة فى السماء الدنيا إلى نبينا محمد ﷺ مفرقاً وفق الوقائع والأحداث وذلك على مدار نيف وعشرين سنة قيل ثلاث وعشرون وقيل خمس وعشرون سنة ، وبذلك يزول الالتباس .

وهناك من العلماء من ذهب إلى أن الله ﷻ كان يُقدِّر ما سينزل من القرآن كل عام فيُنزل هذا المقدار فى ليلة القدر من هذا العام إلى بيت العزة ثم ينزل مفرقاً طوال العام، حتى إذا انتهى العام انتهى معه ما قدّر الله فيه أن ينزل من القرآن، ثم ينزل مقدار العام الجديد من القرآن فى ليلة القدر فى العام الجديد ليُحفظ فى بيت العزة ثم ينزل هذا المقدار مفرقاً فى العام، وهكذا كل عام، فيكون القرآن الكريم قد نزل من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى ثلاث أو خمس وعشرين ليلة قدرٍ، بعدد السنين التى نزل فيها مفرقاً .

أما الرأى الثالث فيذهب إلى أن القرآن الكريم قد ابتُدِئ إنزاله في ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات) [1] .

ولكن الراجح الرأى الأول وعليه قول جمهور العلماء، وترجع علة تعدد نزول القرآن جملة واحدة فى ليلة القدر ثم نزوله مفرقاً فى ثلاث وعشرين سنة لإظهار مكانته وفضله على سائر الكتب السابقة .

---

(١) ويمكن فى هذا الشأن مراجعة الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ١٤٦/١، البرهان فى علوم القرآن للزركشى ٢٢٨/١.

وفيه أيضا تفضيل نبينا ﷺ على غيره من المرسلين فى أن كتابه قد نزل مثل كتبهم جملة واحدة ثم التفضيل لمحمد ﷺ في إنزاله عليه منجماً ليحفظه.

المسألة الثالثة: ما معنى أن ليلة القدر خير من ألف شهر ؟

الجواب: أى أن العبادة فيها تعدل عبادة ألف شهر، بمعنى أن الإنسان لو عمل عملاً صالحاً ألف شهر ليس فيها ليلة القدر كانت ليلة القدر خيراً منها لما فيها من الفضل العظيم والثواب الجزيل، فقد ثبت فى الصحيحمن حديث أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه) [١] وألف شهر أى ما يساوى ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر كل هذه الفترة لا تعادل فضل ليلة واحدة .

أما عن تحديد فضلها بألف شهر، فقيل: إن المراد ليس الألف شهر على وجه التحديد، وإنما أُطلِق الألف وأريد به الكثرة وأراد بألف شهر جميع الدهر، لأن العرب تذكر الألف وتريد به الدلالة على كثرة الأشياء، كما قال ﷻ: ﴿**يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**﴾ [٢]، يعني جميع الدهر.

قال القرطبى: (إن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابداً حتى يعبد الله ألف شهر، ثلاثاً وثمانين سنة وأربعة أشهر، فجعل الله تعالى لأمة محمد ﷺ عبادة ليلة خيراً من ألف شهر كانوا يعبدونها) [٣].

كما روى ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ ذكر رجلاً من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فنزلت﴿**لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)**﴾ فهى خير من ألف شهر من التى لبس الرجل فيها سلاحه فى سبيل الله) [٤].

---

(١) صحيح البخارى ٤ / ٥٧٤ ، ورقمه ١٩٠١.
(٢) البقرة / من الآية ٩٦ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٣١/٢٠.
(٤) سنن البيهقى الكبرى، أحمد بن الحسين أبوبكر البيهقى، ٤ / ٣٠٦، ورقمه ٨٣٠٥، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م .

المسألة الرابعة: فى قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾ ماالمراد بالروح ؟ ولم خص بالذكر مع الملائكة ؟

والجواب: الروح فى أقوال جمهرة المفسرين هو جبريل عليه السلام، فإن قال قائل: أليس جبريل من الملائكة فلِم ذُكِر بعد ذِكر الملائكة وهو داخل في جملتها ؟

والجواب: إن هذا من باب ذكر الخاص بعد العام للدلالة على أهميته وأن له شأناً خاصاًيختلف عن غيره من الملائكة لشرفه ومكانته، فكأن جبريل – عليه السلام – ذُكر مرتين: مرة عامة فى عموم الملائكة ، ومرة أخرى خاصة بذكره منفرداً بعدهم فى قوله تعالى: ﴿**وَٱلرُّوحُ**﴾، ومثاله أيضاً قوله ﷻ فى سورة البقرة: ﴿**حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ الوُسطَى**﴾[1]، حيث أفرد الصلاة الوسطى – وهى العصر – على أرجح الأقوال بالذكر مع أنها من جملة الصلوات التى أمرنا ربنا بالمحافظة عليها فى الآية، بيد أنه ﷻ كرر ذكرها لبيان مكانتها، قال الزمخشرى: (وإنما أُفردت وعُطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل) [2].

المسألة الخامسة: ﴿سَلَٰمٌ﴾ ما إعرابها وما المراد منها ؟

الجواب: جاءت كلمة ﴿سَلَٰمٌ﴾ مرفوعة على أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره هى، وتكون الجملة "هى سلام"، وقيل فى المراد من ذلك ثلاثة أقوال:

الأول: (إن الملائكة تسلم على المطيعين، وذلك لأن الملائكة ينزلون فوجاً فوجاً من ابتداء الليل إلى طلوع الفجر، فترادف النزول لكثرة السلام)[3]، (قال الشّعبي: هو تسليم الملائكة في ليلة القدر على أهل المساجد منحين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، وقيل الملائكة ينزلون فيها كلما لقوا مؤمناً أو مؤمنة يسلمون عليه من ربه عزّ وجلّ)[4].

---

(١) سورة البقرة / من الآية ٢٣٨ .
(٢) الكشاف ٣١٥/١ .
(٣) مفاتيح الغيب ٣٥/٣٢ .
(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل ٢٧٦/٧-٢٧٧ .

الثانى: قيل المراد إن ليلة القدر سلام من الشرور والآفات(فهي ليلة سالمة من كل شر، لا يحدث فيها حدث ولا يرسل فيها شيطان، قاله مجاهد) [١].

أما القول **الثالث** فقيل: إن الله ﷻ لا يقدر فى هذه الليلة إلا كل خير (قال الضّحاك: لا يقدر اللّه سبحانه في تلك الليلة إلاّ السلامة ، فأمّا في الليالي الأُخر فيقضي اللّه تعالى فيهنّ البلاء والسلامة) [٢] .

لطيفة تحسن الإشارة إليها :

بعض القراء عندما يقرأ هذه الآية الكريمة﴿**سَلامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)**﴾ يقف على كلمة ﴿**سَلَمٌ**﴾ ثم يبدأ القراءة من أول قوله ﷻ: ﴿**هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥)**﴾، ليكون المعنى أن وقت هذه الليلة المباركة ممتد من الليل حتى طلوع الفجر ... والله أعلى وأعلم .

---

(١) النكت والعيون ٦/٣١٤ .
(٢) الكشف والبيان ١٠/٢٥٨ .